مجلة الهديل - اصدار الاول العربية
كانون الاول ٢٠٠٨

الإبداع الفني بين العلم والإيزوتيريك

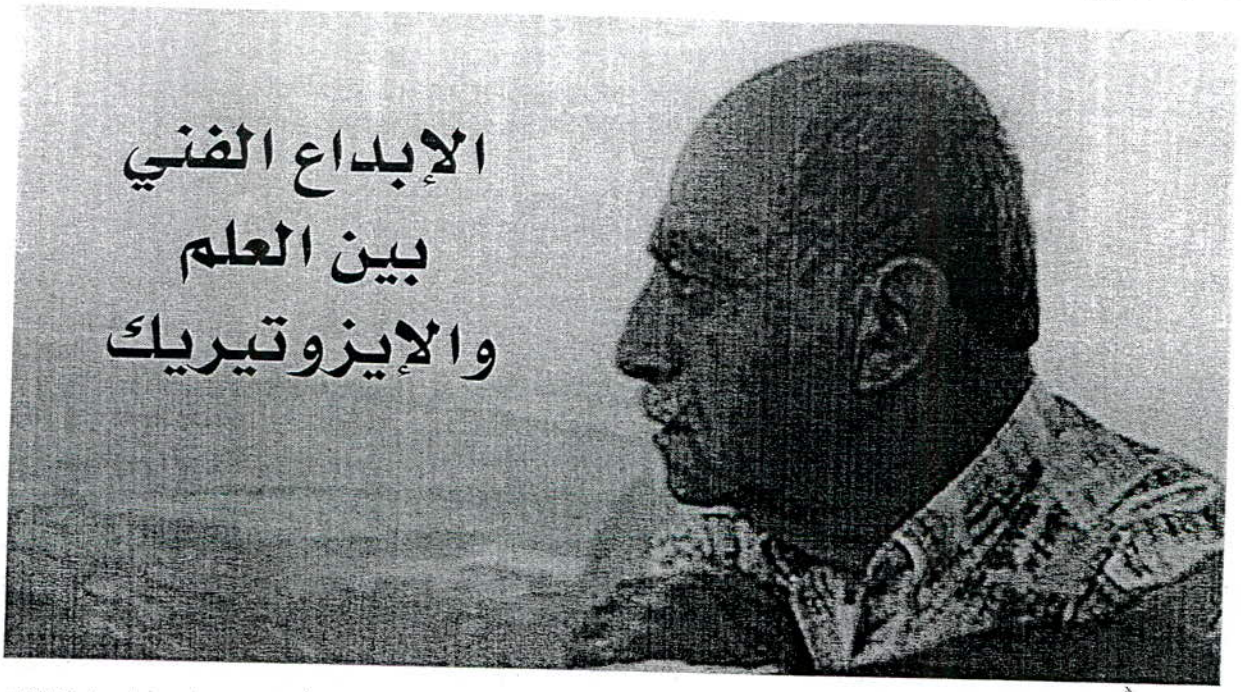

بعدما بات معلوماً أن الإيزوتيريك هو الجانب الخفي من العلوم المعاصرة، بالإضافة إلى العلوم التي لم يتم اعتمادها أو تصنيفها بعد إلى جانب هذه الناحية العلمية الخفية من الإيزوتيريك، كونه علم المستقبل، هناك الناحية الفنية أيضاً. فأبعاد الإيزوتيريك تطال حتى الفنون، تبحث فيها ظاهرياً، تعالجها باطنياً، وتفسرها واقعياً..كما تنشأ، وتتطور وتنتهي..أي أن الإيزوتيريك يشرح الفنون من جوانبها الظاهرية والخفية، ويكشفها على حقيقتها لأن الإيزوتيريك هو علم النواحي الغامضة من الكيان الانساني، ذلك الحيّز النفسي أو اللامادي.

ولما كانت الفنون منوطة بهذا الحيّز أو ناجمة عنه، يعتبر الإيزوتيريك أدق من تحدث عن الفنون، ووضع ماهيتها! إلا أننا، في مقابلتنا اليوم، لسنا بصدد التحدث عن الفنون بحد ذاتها، بل عن الإبداع الفني!

ما هو الإبداع الفني؟ ولماذا يتميّز به شخص دون الآخر؟! ما هو مصدره؟ وهل من وسيلة لاكتسابه وتنميته لدى الجميع؟!

المبدعون على الأرض قلة..وهم يبرزون في كل عصر أو قرن، وكأنهم ندرة بين بني جنسهم..يتحفون الإنسانية والعالم بنتاجهم المبدع، بعطائهم المميّز، وبخلود أعمالهم! ترى، لمَ لا تشهد الأرض المزيد منهم؟ لماذا يجب أن يبقوا قلة؟!

أمام هذه الأسئلة التي لا نجد لها الإجابات الشافية، سواء لدى العلماء أو المبدعين أنفسهم، لا نملك سوى اللجوء إلى مؤسس مركز الإيزوتيريك التابع لجمعية أصدقاء المعرفة البيضاء في لبنان، الدكتور جوزيف مجدلاني، ليكشف لنا ما يملكه الإيزوتيريك من معلومات حول ماهية الإبداع الفني، وحقيقة وجوده في الذات الإنسانية.

وفي لقائنا مع الدكتور جوزيف مجدلاني الذي بات لديه أربعون كتاباً في علوم الإيزوتيريك المتنوعة المواضيع حتى تاريخه، وموقعاً الكترونياً على شبكة الأنترنت على العنوان التالي: www.esoteric- Lebanon.org كان لنا الحوار التالي:

- نعلم أن الإيزوتيريك هو علم بواطن الذات الإنسانية..وهو العلم الذي يتوغّل في الخفايا، وفي اللامنظور واللاملموس حيث لا يجرؤ أي علم آخر على الوصول. لهذا السبب نلجأ إلى الإيزوتيريك ليكشف لنا ما لديه عن الإبداع الفني وماهيته!

قبل التحدث عن الإبداع الفني، أود التوضيح أن ثمة ثلاثة عوامل لا وجود لها في مفهوم الإيزوتيريك، وهي ليست موجودة إلا في أذهان أصحاب العقول الكسولة، والإيمان غير الوعي.. لأن هذه العوامل تنمّ عن غياب العدل الإلهي والنظام الكوني..وهذا ما يستحيل أن يكون! هذه العوامل الثلاثة هي: الصدفة، الحظ والموهبة!

فإذا ما تأمل المرء عميقاً في معاني هذه الكلمات الثلاثة، وتفكّر ملياً في كل منها، وفي إمكانية وجودها لدى الإنسان، لتأكد بنفسه أن وجودها يعني غياب العدل (إذا تميز أنساناً عن آخر، ويخصّه بما لا يخص غيره)، وكذلك غياب النظام الكوني إذ يطرح الأشياء جزافاً وعشوائياً، لتظهر صدفة، أو لتحقق نفسها بضربة حظ.

من هذا المنطلق، يؤكد الإيزوتيريك عدم وجود هذه العوامل الثلاثة في حياة الإنسان، وبناءً على ذلك، يتابع الإيزوتيريك أبحاثه في شتى الأمور، للتوصل إلى الحقيقة العارية!

أردت هذا التوضيح قبلاً، لأقول بأن الإبداع الفني ليس موهبة يتمتع أو يتميّز بها شخص دون آخر، كما يعتقد البعض ومنهم رجال علم

Izoteric.indd 124 4/12/08 13:20:45

واختصاص..بل أن الإبداع الفني هو مجرد مقدرة إنسانية كائنة أو كامنة لدى الجميع، منهم من يعمل على توعيتها ومنهم من يدعها غافلة هاجعة..ويدّعي بأن الخالق لم يخصّه بهذه الموهبة. وكأنه بذلك يلقي اللوم على الخالق، أو يدّعي ظلمه بحرمانه منها!.

- هل يمكنك إعطاءنا فكرة واضحة عن ماهية الإبداع الفني؟

يخبرنا العلم الحديث بأن الإبداع الفني هو مقدرة تكمن في الخلايا الدماغية لدى بعض الأشخاص فقط، وأن العوامل التي توجد الإبداع الفني هي الوراثة، البيئة، المجتمع والمشيئة الألهية، كما يعتقد فريق من العلماء استناداً إلى شخص ما وُلد مبدعاً، لأن خلاياه الدماغية نشأت متفتّحة نَاشطة..ولأن خلاياه الوراثية (DNA) وجدت بالحالة كذا، والمحتويات كذا، منذ الولادة.. والأمر يعود إلى "صدفة" في التكوين، أو حتمية وراثية، أو مشيئة الهية ربما! هذا هو الإعتقاد السائد لدى الناس عامة.

أما علوم الإيزوتيريك، فهي تشرح الإبداع الفني بأنه مقدرة ذاتية كامنة في كل إنسان على حدّ سواء، لا تزيد ولا تنقص من شخص لآخر. لكن ثمة من يعمل على صقلها وتنميتها وتطويرها. فتتجلى فيه خلقاً وإبداعاً، وثمة من يتجاهلها ويهملها، فتبقى هاجعة في لاوعيه. لأن العدل الالهي لا يفاضل بين شخص وآخر، وإلا لما كان عدلاً! كما أنه من العسير على هذه المقدرة أن تعي وتتطور في دورة حياتية واحدة.. بل يلزمها بضع دورات وحيوات متتالية.. وهذا ما لا يعرفه أو لم يكتشفه العلم المعاصر بعد!"

- هل تعني بقولك هذا أن في مقدور كل إنسان أن يكون مبدعاً؟

هذا ما قصدته بالضبط لأن كل إنسان يملك الوعي الكافي والمقدرة اللازمة ليكون مبدعاً، بل أن كل امرئ يسعى ليكون مبدعاً، حتى وإن كان سعيداً لاشعورياً، أو لا إرادياً! فالإبداع مسعى ذاتي يمكن في لاوعي الإنسان فيحاول الإنسان أن يحققه في حياته، دون وعي منه أحياناً.

في العرف الباطني، مفهوم علوم الإيزوتيريك، الإبداع الفني هو وسيلة تحقيق الذات (Relation de soi/self-realization) فكل امرئ، يسعى جاهداً ليحقق ذاته، وليشعر بالإكتفاء الذاتي. والإبداع يوفر له هذا الشعور فعلياً.

والإبداع ليس بالضرورة القيام بإكتشافات علمية بارعة..أو رسم لوحة زيتية رائعة تنافس لوحات أشهر الرسامين العالميين!

الإبداع الفني هو الخلق، هو إظهار ما يكمن في بواطن الذات لتحقيقها..أي لتحقيق فعل الخلق!

إتقان العمل، إبداع!

تقديم فكرة جديدة إلى الآخرين، إبداع!

تصميم زيّ جديد، أيضاً إبداع!

واختراع آلة متطورة، إبداع كذلك!

علماً، أن درجة الإبداع تتفاوت وفق مستوى وعي الشخص المبدع..لأنه يحقق له ذاته، أو تحقيق وعيه إذ أن تحقيق الذات هو تطبيق الوعي الذي توصل إليه الإنسان!

بعبارة أخرى، حين يتوصل المرء إلى وعي جديد، يحاول أن يمارسه فعلياً، ويظهره علمياً بواسطة إنجاز عمل ما، ملموساً أو محسوساً.. أو عبر آية وسيلة أخرى، بذلك يصبح تحقيقاً للذات.

- هل يمكننا الإستفاضة في موضوع علاقة الإبداع بتحقيق الذات؟

الذات الإنسانية تحتوي على الوعي واللاوعي.. واللاوعي هو السائد لدى عامة البشر. لكن هذا اللاوعي ليس مقر العقد النفسية حسب علم النفس، ولا هو فراغ كما قد يشعر به البعض، بل هو المجهول الغامض الذي لا نعرفه. وهذا المجهول الغامض هو مكمن المعرفة ومصدرها، هو موسوعة المعرفة الكاملة في كل منا..ومصير الإنسان أن يوعّي هذه المعرفة الهاجعة في نفسه، في نهاية مساره على درب تفتيح الوعي. فكلما تقدم خطوة على هذا المسار، أي اكتسب معلومة جديدة، تفتّح جزء جديد من لاوعيه..الأمر الذي يشعره بالسعادة الذاتية أو بالغبطة الروحية، ولو كان غير واع لسبب ذلك الحبور.

هذا مع العلم أن تلك السعادة أو الإكتفاء أو اللذة أو سمّها ما شئت تتأتى عن نشوة الروح.. إذ تدرك بأن الذات خطت خطوة جديدة نحو هدفها، المعرفة الشاملة أو الوعي الكامل.

وبما أن المعرفة لا تكتمل دون وعي، وبما أن الوعي لا يتكامل، أو اللاوعي لا يفتّح دون تطبيق المعرفة. كان لا بدّ لهذه المعرفة الجديدة أن تُطبّق، لتصبح وعياً ذاتياً!

وفي ضوء ذلك كله، تحاول الذات، عبر مباركة الروح لها، أن تطبق فعلياً هذا الاكتساب الجديد.. أو هي تحاول أن تحقق ذاتها عبر المعرفة الجديدة المكتسبة..فتخلق شيئاً جديداً يتناسب ومستوى ذلك الوعي!».

- هل يمكننا الإستنتاج أن العلماء الذين يبتكرون آلات وأدوات وسواها، يعتبرون في مستوى المبدعين؟

«هناك فرق واضح بين تطوير الشيء وإبداعه! فتطوير الآلة الحاسبة مثلاً، ليس إبداعاً.. وتطوير السيارة، أو جهاز العقل الإلكتروني، أو المركبة الفضائية، ليس إبداعاً..لأن هذه الآلات كانت موجودة أصلاً، وكل موجود يخضع لعملية تطوير فقط أما الإبداع فشيء آخر.

الإبداع هو فعل الخلق...أي إيجاد شيء لم يكن من قبل.فإختراع السيارة للمرة الأولى، او اختراع المركبة الفضائية، أو الآلة الحاسبة، هو إبداع! أو اختراع العقل الإلكتروني، أو سماعة الطبيب، أو حتى قلم الرصاص ألخ..يعدّ إبداعاً! رسم لوحة فنية لم يسبق لها مثيل..أو تقديم فكرة جديدة للإنسانية أو للمجتمع، يعتبر إبداعاً!

وإن كان إدخال التطورات على المرافق الإنسانية ككل، يندرج في باب الإبداع في مفهوم

الدكتور مجدلاني يتوسط تلامذته

Izoteric.indd 125 4/12/08 13:20:47

الزميل جوزيف أبي خليل مع د. مجدلاني

مراجع عديدة عن الإيزوتيريك

البعض، إلا أنه أدنى مستوى في الوعي من الإبداع نفسه!».

- لماذا؟

«لأن الإبـداع الأول» كما تصنف علوم الإيزوتيريك، يتم عبر لحظة إتصال، أو انخطاف، بين الذات الإنسانية والذات الكلية.. التي منها انبثقت الذات الإنسانية! وبواسطة هذا الإتصال، تتلقى الذات الإنسانية الأفكار الجديدة بواسطة الإلهام أو الإنخطاف الروحي، أو الرؤيا! بتعبير آخر، الإبداع يتحقق بواسطة اتصال إنساني، إلهي، عبر التأمل والتركيز حتى وإن كان الإنسان لا يعي ذلك.

أما التطوير (الإبداع الثاني) فهو مجرد اتصال بين الفكر والذات الإنسانية، الذات العليا الكامنة في أعماق الباطن الإنساني..

تلك الذات التي يدعوها بعض الفلاسفة وعلماء النفس «بالأنا الحقيقية» أو «الشخصية الذاتية».. حيث يكمن اللاوعي الذي يحوي المعرفة الكاملة على كل صعيد. علماً أن المنتسبين إلى مركز الإيزوتيريك يتلقّون التفاصيل والشروحات المستفيضة في هذا الشأن»!

- نستنتج أن هناك تمارين معينة لاكتساب ميزة الإبداع؟

بالتأكيد، تقدَّم التمارين تباعاً إلى المنتسبين إلى مركز الإيزوتيريك.. ويمكنكم التأكد بأنفسكم من النتائج الملموسة التي توصلوا إليها!

أخيراً، أود أن اضيف أن كل إنسان يمكن أن يسعى مبدعاً..كلٌ وفق مستوى وعيه. وكلما رفع مستوى وعيه، تطوّر في الإبداع واستفاض فيه، وأرتقى عبره. وما مركز الإيزوتيريك الذي تأسس في لبنان ألا لتطوير مستوى الوعي لدى الراغبين في ذلك. فالوعي هو هدف وجود الإنسان على الأرض!.

- ماذا إذا حاول الإنسان ملياً أن يبدع شيئاً من مقدراته ولم يستطع، ونعرف جيداً أنه بامكان كل شخص تطوير مقدراته وابداعها إلى كيان جديد. فهل يعني عدم تمكنه من ذلك نقصاً في القدرة، أم أن المحاولة غير كافية؟ وكيف باستطاعته الوصول إلى النجاح؟

يجب التمييز أولاً بين النجاح والإتقان والإبداع، حتى يتوضح الواقع ويسهل الوصول إلى تحقيق المرام. فالنجاح خطوة أولى نحو إتقان العمل، والإتقان خطوات متقدمة نحو الإبداع فيه، علماً أن النجاح واجب المرء، والإتقان مسؤوليته، أما الإبداع فهو إضفاء أشياء جديدة من ذات الإنسان، من مجمل تجاربه وخبراته، فيزيد على الإتقان إبداعاً، وعلى المنطق فلسفة، وعلى الحديث حكمة وبلاغة! وإذا كان الإتقان اكتمال الشيء فالإبداع هو كماله!

لعل أجمل ما يجذب المثقفين إلى علوم الإيزوتيريك هو منطق الأمور، وتصوير الوقائع وتبسيط الاشياء بحيث يهون فهمها ضمن منهج عملي تطبيقي يتيح لمن يريد اكتشاف طاقاته ومقدراته عبر التعمق في بواطن ذاته، ومن ثم إخراج هذه الطاقات إلى حيز الوجود وممارستها في عمل متكافئ.

فالمبدع شخص متميز، لذلك يجب أن تكون معرفته في حقل إبداعه (على الأقل) متميّزة!

وسائل الإبداع كثيرة متنوعة، وإنجازها يتوقف على معرفة ومقدرة كل شخص. نقول أولاً إن المقدرة كامنة في كل إنسان، وهي متساوية لدى الجميع، لكنها غافلة في بعضهم، وواعية جزئياً في البعض الآخر، أما الذين يعملون على تنميتها وصقلها والتمرُّن على استعمالها، فهم يسمّون بالموهوبين في العرف العام!

القيام بالعمل واجب، الإخلاص للعمل هو النجاح فيه، وحب العمل هو في إتقانه، ثم يأتي التجدد والإبتكار في العمل نفسه. وهذان يؤديان إلى الإبداع...ولو لا شعورياً من الشخص نفسه أحياناً.

الأعمال المبدعة هي الأعمال الخلاقة، وهذه لا تنبع إلا من تصميم الذات، من صميم الخبرة والمعاناة والتجارب والكد والتغلب على الفشل. فبقدر ما يتعمق المرء في معرفة الخفايا الكامنة في نفسه، يكتشف طاقاته ومقدراته، ويتوعّى إلى متطلبات عمله..فيأتي إنجازه تعبيراً عن الجمال الكامن في نفسه! بمعنى أنه يجب أن نوعّي المقدرة الذاتية ونعرف مدى نشاطها للتكيف مع المستلزمات المادية المتوافرة..ثم وضعها على طريق النجاح أولاً، ثم الإتقان، وأخيراً الإبداع!

الفكر المنطقي المتزن، الذي لا يحمّل صاحبه أكثر من طاقته، عامل إلزامي..حتى لا يشرد به الطموح الجامح، أو الخيال إلى تصوُّر ما لا يمكن تحقيقه. وهنا الطامة الكبرى، ليس في عدم بلوغ الهدف، بل في إضاعة الوقت والمجهود والمال، وفي القلق والإضطراب والعصبية التي تنجم عن حالات الفشل المتكرر.

الشخصية القوية الإيجابية التي تتميز بالإنفتاح الذهني، وبالسعي الحثيث دون كلل أو ملل نحو التوصل إلى الغاية. هذه ما يجب أن يتميز بها كل من شاء أن يكون مبدعاً في عمله..وحتى لو عرف المرء الفشل مرات عديدة، فالفشل في هذه الحال له أسبابه التي يجب دراستها جيداً..وهي غالباً ما تكون نقصاناً في تأدية الأعمال، يجب تفاديه في المرات القادمة. إذن سبب الفشل ليس ضعفاً في المقدرة الفردية، بل نقصاً في أحد المتطلبات التي يجب على المرء التوعّي إليها.

وأخيراً يجب على المرء الذي شاء الإبداع هدفاً لأعماله، أن يعي أن التصور الذهني أو الدراسة النظرية للعمل المنوي تنفيذه، هو بمثابة الرسم الهندسي أو «الماكيت» الذي يسترشد به المهندس قبل وضع أساس البنيان.

يلي ذلك القيام بمحاولة أولية للبحث عن الأخطاء أو الثغرات والهفوات..حتى لا تتكرر دواعي الفشل، وحتى ينمي المرء حسن التمييز لديه، وتزداد مقدرة التركيز الذهني عنده، بغية التطور تدريجياً في عمله، حيث أن الإيزوتيريك منهج علمي ودرب تطبيقي في كشف مقدرات الإنسان، ثم العمل على صقلها في حياتنا العملية، فالأمر ليس تأدية أعمال وتمنياً، وإلا لأصبح جميع البشر مبدعين!

وما أسرار العبقرية سوى وسيلة ومنهجية وتقنية!

وصدق من قال أن الإبداع مرادف للعبقرية!

جوزف أبو خليل

Izoteric.indd 126 4/12/08 13:20:50